

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عقبة العوائق :: عائق الدنيا، ومعنى الزهد

• الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، حمداً كما أَرانا فضله في هذا المطر والذي أنعش الأرض وأنبت الزرع وبشر بقدم الخير، فأسأل الله أن يمطر مطر القبول لجميع أعمالنا وحسناتنا، مطر القبول لمن تاب توبة نصوحاً ومطر القبول لمن وقف بباب الله، وأثني بالصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر.. خير عبد سجد لله وخير قدم سعت في سبيل الله وخير يد ارتفعت تدعو الله، وخير لسان ذكر الله وخير وجه قلب وجهه في السماء وخير عين وخير روح، اللهم صل وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك وأزواجك، اللهم أحيي موت قلوبنا وأرواحنا وأحيي بصائرنا حتى نشاهدك وحتى نعبدك ونذكرك كثيراً آمين اللهم آمين والحمد لله رب العالمين..

• لازلنا في عقبة العوائق وكنا في عقبة كؤود صعبة لأنها تحوي أربعة أمور: الدنيا، والخلق والنفس والشيطان، الدنيا والخلق مشغلان والشيطان والنفس عدوان.

• الدنيا والخلق مُشغلان يشغلانك ويأخذان من وقتك، فكرك، عقلك، كلامك، جهدك، صحتك والناس كذلك تأخذ بهذا وهذا..

• والنفس والشيطان عدوان تحتاج إلى أن تحسن التعامل مع الدنيا والنفس.. وتحتاج لأن تكون مستعداً لهجوم الشيطان والنفس عليك، والعدو معلوم أنه يتربص بك يبحث عن غفلاتك.. لذلك ركزوا.. الشيطان والنفس يعتمدان على الدنيا والخلق وهما جنود للشيطان وللنفس.. لأن الشيطان يزين الدنيا لك ويشغل الخلق معك حتى تتشغل عن الله فيدخل الشيطان من خلال الثغرات التي تركتها..

• صحيح أن الشيطان عدو لكنه لا يملك سلاحاً، ومن لا يملك سلاحاً لا يستطيع أن يهجم عليك ولا يجرؤ أن يهجم عليك فلماذا تخاف منه؟ ما الخوف منه إلا وهم، هو الذي يخوفك كما يسمونها اليوم "الحرب النفسية".. بحيث يهول لك الأمر ويوهمك بأنه يستطيع ويستطيع وأنه يمتلك عرش الجن وأنه بوسعه.... وهو لا يستطيع فلا يخوفك إنه خلق من خلق الله...

• الإمام الغزالي سيذكر لنا كيف تتعامل مع كل واحد من هذه الأربعة.. الدنيا هل نتركها؟ ويعطك توجيهاً ومنهجاً وأسلوباً للتعامل مع الخلق.. كيف تتعامل مع الله في خلقه..

• فتكون أنت في أوج الاشتغال بالخلق وأنت لم تخرج لحظة عن الخالق ما غبت عن الله ولو كنت وسط أسرتك أو وسط سوقك، أو وسط مؤسستك وأنت في عين الحضرة وأنت ملاحظ بشريف النظرة..

• يقول الإمام الغزالي: "فإن قلت فما معنى الزهد في الدنيا وما حقيقة ذلك؟ فاعلم أن الزهد في علمائنا رحمهم الله زهد مقدور للعبد.... على قلب الزاهد".

• يصف لنا الآن الإمام الغزالي، وهو إنسان صاحب خبرة في التعامل مع الدنيا، يذكر لنا الزهد في الدنيا ليس معناه الترك، وإنما كيف تتعامل معها تحتاج إلى تحكّم، الله ما خلقها لتركها..

• الخلاصة المطلوب منك شيان اثنان:

♦ تركها بالقلب.

♦ وأن تكون تحت سيطرتك بحيث تكون أنت القائد لا هي، كيف؟ من خلال ما ذكره الإمام الغزالي لنا..

• يقول الإمام الغزالي أن الزهد نوعان: مقدور عليه فيستطيع العبد القيام به، والمقدور عليه ثلاثة:

1. "ترك طلب المفقود من الدنيا":

• الشيء الذي أنت لا تحتاجه مافي داعي تتعب نفسك! سيأخذ عمرك ووقتك وصحتك والنتيجة لن تجده لأنه ليس مكتوباً لك، إذا ليس مكتوب لي فلماذا أجري وراءه؟ وإذا مكتوب لي هو سيأتي إليّ! ترك طلب المفقود منها.. ولاحظ أن المقصود أن لا تطلب لكن إذا جاءك لا بأس بقبوله..

2. "تفريق المجموع منها":

• وهذا كثير من الناس لا يستطيعه ونوضح فيه مسألة ربما يتهم بعضهم هذا الطريق بأن فيه التزمّت والتفوق، تفريق المجموع منها، هناك مال لا تحتاج إليه ولا إلى عشر سنوات قادمة، عليك التزامات، إيجارات، مصاريف، مدارس الأبناء، فواتير شؤون أخرى، لك مصاريف فتوزع المال عليها.. إذا أنت خصمت من مالك المستلزمات المالية التي عليك من ديون وفواتير إيجار وحقوق للآخرين والوالدين والزوجة.. إن خصمت ذلك من المال فالباقي هو ليس لك!!

• كل إنسان يأتيه رزقه الذي يحتاج إليه فما زاد منه فهو اختبار من الله حتى يرى كيف تتعامل معه، فإن بخلت به وحبسته ولم توزعه على المحتاجين فأنت لا تحتاج إليه وإنما هو فتنة!

• فإن لم ترد توزيعه على المحتاجين استثماره، اعمل مشاريع وقم بتوظيف الشباب المسلمين فيها وذكرت ذلك في عدة مرات لو أن شخصاً عنده مئة مليون درهم، هذا سيعيش ويموت وتبقى الأموال.. نقول لو أنه عمل مصنعاً أو مؤسسة ووظف فيها ألف شاب مسلم، هؤلاء الشباب المسلمون إذا عملوا واستلموا رواتباً سيفكرون في الزواج، ويتزوجون ألف فتاة.. قضوا على نسبة من العزوبية، ستروا البنات وستتر الشباب وحافظ على البلاد من فوضى العاطلين من العمل.. فهذا من شؤون العمل الإسلامي الذي يحبه الله ورسوله ﷺ، ويؤدي إلى إيجاب شباب مسلم واسع يخاف الله تبارك وتعالى.. هذا الأمر من الأمور التي ينبغي أن يُفكر فيها، كثير من الناس لا يعمل بهذا، والعالم الإسلامي فيه من الاضطرابات والمشاكل والسبب هذا.. الله المستعان..

• البضاعة إذا كانت تخزن في المستودعات حتى تنتهي صلاحيتها، فإنه لا قيمة لها، آخرتها ترمى في سلة المهملات. المال كذلك، إذا خزنته لسنوات لا نقول تنقص قيمته بل تنقص بركته، أموال كثيرة لا بركة فيها، شخص يعمل على جمع المال ليس لاحتياج وإنما لتوهم الاحتياج *نرجو التركيز* إذا كان لاحتياج فلا بأس بذلك..

• أما الذي يقول احتمال يحصل كذا، احتمال يحدث حادث سيارة، أو تظن بربك هكذا؟ أنت حكمت على نفسك بالبلاء، الله يقول: (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)، الذي يقول القرش الأبيض لليوم الأسود أنت فعلاً سيكون نهارك أسوداً بسبب سوء الظن بالله!

• الذي يقول الله يمكن يقدر لي، تقدير مصائب.. احتياطاً أواجه تلك المصائب بالفلوس!!
• حتى قيل أن سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه دعا الله (اللهم ارزقني الصبر) قال له رسول الله - بما معناه - ((لقد سألت البلاء))، عندما تقول اللهم ارزقني الصبر كأنك تقول يا رب أنا مستعد للبلاء، سيدنا علي لم يذكر الصبر مع القضاء، كان من دعاء رسول الله (اللهم إني أسألك الصبر عند القضاء) بمعنى إذا قضيت لي بأمر فارزقني الصبر عليه، سل الله العافية، اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة..

• فأنت عندما تخزن هذا المال فإن بركته تنقص ولو كان كثيراً.. مثلاً وفرت 10 آلاف درهم احتياطاً، بعد فترة أردت أن تعمل تجديداً لملكية السيارة وطلع عندك مخالفات قدرها 10 آلاف درهم، وهذه المخالفات بسببك أنت، آخرتها دفعتها للرادار! ما عاد بالنفع عليك..

• لذلك نستفيد من قصة أهل الكهف عندما آووا إلى الكهف وناموا 309 سنة (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ).. فعندما قاموا من نومتهم

الطويلة وذهب أحدهم إلى السوق وأراد أن يشتري بضاعة وكان معه ورق فضة، فوجد أن العملة لا قيمة لها!! كذلك أنت عندما تخزن مالك لشيء وهمي تنقص بركته، ويكون سبباً لنزول المصائب.. كأنه "قنبلة موقوتة" فهل تبقىها في بيتك أو تخرجها؟

- للأسف الناس لا يدرسون الأمر جيداً، المال محبوب، ولو فكروا قليلاً لعلموا أن الخير فيما قاله أهل العلم رضي الله عنهم وأرضاهم، هذا الكلام الذي نقوله صعب للوهلة الأولى ولكن يحتاج إلى رياضة، تمرين، يحتاج إلى تعوّد وممارسة إلى أن تصل إلى هذه النقطة.. هذا هو جهاد النفس..
- منا من يحتاج إلى عشر سنوات، ضع قدمك في السباق ولو لم تكن في المركز الأول.. كن في المركز الثاني.. حتى لو لم تكن من الأوائل على الأقل أنت من المتسابقين..

3. "ترك إرادتها واختيارها":

- لا تؤثر الدنيا على الآخرة.. لا تختبرها على الآخرة، إذا تعارضت أمور الدنيا مع الآخرة فقدم الآخرة على الدنيا (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)، مثلاً أنت تعمل في محل فجاءك زبون في وقت الصلاة، والشيطان يقول إذا ذهبت إلى الصلاة ستفقد الزبون وصفقة تجارية رابحة، ويخوفك، ويوهمك ويزعجك، فإذا أنت اخترت الزبون على الصلاة وآثرت الدنيا على الآخرة كسبت الزبون ولكنك خسرت أشياء كثيرة:

❖ آخرتك.

❖ حب ربك لك.

❖ البركة في المال.

- هذا المال الذي أخذته من الزبون لا بركة فيه، مال أخذ من وقت الله يحتاج إلى تمرين وضبط نفس نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لذلك..

- الزهد المقدور عليه، أكثر الناس يسقطون في هذه لأسباب كثيرة، أهم سببين:

- البيئة التي عاشوا فيها لا تعينهم على هذا، تربية والدين، والدين كمن يقول لابنه لابد تكون عندك فلوس وإلا ستموت، ستكون مشرداً في الشوارع.. نموا في أبنائهم هذا المعنى، لم ينموا فيهم التوكل على الله، وكذلك يتوقف على الزوجة، الرجل الذي يُرزق زوجة صالحة تعينه على هذا الأمر، تعينه على أن ترضى وأنها لا تطلب منه فوق ما يستطيع، لا تكلف زوجها فوق ما يستطيع، ليس مثل التي تمسك يده إذا أنت ما اشتريت لي الذهب معناها ما تحبني، عجيب! صار شراء الذهب علامة الحب الأكبر؟ إذا ما سافرتني معك إلى أوروبا ما تحبني، فصار الرجل في معترك أن يثبت لها حبه، ممكن يسعى لتوفير المبلغ فيدخل في الديون والقروض لإرضاء زوجته..

- (إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)، وكذلك قد يكون السبب الزوج كم من زوجة قنوعة اقتصادية ولكن زوجها لا يعينها على ذلك.. (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه) لم يقل دينه فحسب.. دينه زائد خلقه، دين بلا خلق متشدد قاسي.. وأخلاق بلا دين لا يكون فيها ضبط.
- دينه وخلقه.. لابد من كليهما لأنهما يكونان كجناحي الطائر.. حسن الاختيار مهم!
- ولذلك، إذا وُفق في زوجة تعينه على ذلك، فقد نال سعادة الدنيا والآخرة (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً)، قالوا الزوجة الصالحة حسنة في الدنيا، وإذا كانت كذلك فهي حسنة في الآخرة..
- خطاب للزوجة والزوج وأرجو أن تفهما، نقول للزوجة إذا كان زوجك لم يأخذك معه في أسفاره فلا تسيئي الظن به وتظني أنه لا يحبك، وخطاب للزوج اصطحابك زوجتك في أسفارك دليل على أنك تعزها وتحبها.. ولا تناقض بين الاثنين لمن تدبر ما أقوله..
- يقول الإمام الغزالي: "فأما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الشيء على قلب الزاهد..... وهذا عندي هو الزهد الحقيقي".
- أعطاك مقدمات ثم النتيجة النهائية للزهد الحقيقي.. نريد أن نقنعكم قناعة، فعلاً هذا تخفيف عليك وتوفير لمالك.. كالذي يشتري سيارة ثم يرى أفضل منها، فيبيعها ويشتري غيرها، ثم يبيعها ويشتري غيرها.. ارض بالمقسوم عش حياتك لأن ما من سيارة إلا وفيها أربع عجلات ومحرك وناقل السرعة والباقي عبارة عن ماذا؟ كماليات!
- كذلك الذي يطير بالطائرة في درجة أولى وثانية.. لكن كلهم في طائرة واحدة وكلهم سيطيرون في نفس الوقت وكلهم سيهبطون في نفس المطار، فلماذا تدفع؟ يحتاج إلى فكر ليس بخلاً وإنما ضبط.
- "برودة الشيء على القلب" وهو لا يحصل إلا بما يفعله العبد، من نقاط الزهد المقدور عليه أن يضغط على نفسه ويصبر وبالتدريج.. النتيجة النهائية أن الدنيا ستكون باردة على قلبه، بمعنى يستوي عنده إقبالها وإدبارها، يستوي عنده إذا في جيبه ألف درهم أو مئة ألف درهم.. برود..
- هل ممكن أن ينزعج إذا فقد 5 دراهم عادي، لكن إذا فقد ألف درهم؟ ألف درهم، مئة ألف درهم، بحيث لا تجعل لها في قلبك قيمة هي لا شيء أصلاً! إذا أقبلت عليك الدنيا ووصلت أن يكون عندك المليون درهم هي نفس الدرهم ولا تفرح بإقبالها ولا تحزن على فراقها..
- إذا وصلت لهذه المرحلة، فالدنيا تأتي بحذافيرها إليك ولن تشغلك عن الله وهذا هو المقصود..

• ليس المقصود أن تتسول، المقصود أن لا تكون الدنيا شاغلة لك بقلبك وفكرك، فإذا رأى قلبك صادقاً بهذا ولا يبالي يعطيك الدنيا كلها، علم أنك لن تشغل بها عنه، فإذا رأيت الدنيا تدبر عنك فاعلم أنها مأمورة من الله، خوفاً عليك من أن تشغل بها عنه، مصيرك إليه فهل ترضى أن تسار إلى ربك وأنت مفلس؟

• إذا أنت ترضى هو لا يرضى! سلّم أمرك له، (اللهم إني أسلمت وجهي إليك) أنا متوكل عليك (وألجأت ظهري إليك) أنا معتمد عليك، انطلق! كما أنك معتمد على قوة سيارتك وضامن وتنطلق بها فكيف بالله وله المثل الأعلى وهو (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)..

• (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) إذا توكلت على إنسان سيموت، وإذا توكلت على مال سيفوت، وإذا توكلت على قوة سيارة ربما تتعطل، فأنت لا تزال حياً وهو ربك حي لا يموت، اللهم ثبتنا وزدنا إيماناً و يقيناً آمين..

• كلام عملي.. ربما البعض يقول.. كيف؟ ليس واقعياً.. دعونا نعيش في الواقع.. إذا أنت لا تعيشه ليس معناه أنه معدوم، عند غيرك هو موجود ربما بين ظهرائكم موجود، ولكن يحتاج المرء إلى أن يتدبر ما يسمعه من الأئمة..

• كان عندنا الشيخ أبو بكر بن سالم ثري جداً وهو من كبار الأولياء والعارفين، يملك المال ويلبس بناته من الذهب من رؤوسهن إلى أقدامهن، فأحد تلامذته قال له أنت تتكلم في زهد في الدنيا وأنت ما شاء الله عندك خير وبناتك تستطيع أن تلبسهن ذهباً من رؤوسهن إلى أقدامهن، قال: لو ذهبت كل ثروتي ما تحركت شعرة في قلبي!

• هذا هو! نحن إذا راحت 500 درهم طاخ.. هذا لو راحت ثرواته كلها لم يتحرك فيه شيء لأنها لا قيمة لها في قلبه لكن إذا فاتته تكبيرة الإحرام يبكي، ليتنا كما نبكي لخسارة المال نبكي لفوات صلاة الجماعة مثلاً.. لا يوجد إلا من كان قلبه حياً..

• يقول الإمام الغزالي: "ثم اعلم أن أصعب الأمور ثلاثة إنما هو ترك الإرادة بالقلب..... وخسة شركائها" ..

• كلام الإمام الغزالي إذا فهمناه يخرج حب الدنيا من قلبنا إن شاء الله.. باختصار استدل بآيات من القرآن.. وذكر أن خروج حب الدنيا من القلب يكون بـ:

❖ نيتك.. هل الدنيا هي مرادة ومحبوبة لديك وتريدها؟ مثلاً في بعض الناس يعمل ويشغل ويطلب الزرق ويطلب الدنيا كلها، هو لا يطلب حبها ولكنه يطلب رزق الله فيها هذا المطلوب والآخر مرفوض..

❖ **رَوْضُ نَفْسِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا بَارِدَةً عَلَى قَلْبِكَ فَيَسْتَوِي الدَّرْهَمُ وَالْأَلْفُ كُلُّهُمْ سَوَاءً، عَوَّدَ نَفْسَكَ عَلَى أَنْ تَتْرَكَ الزِّيَادَةَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْ تَفَرِّقَ الْمَجْمُوعَ مِنْهَا، صَعِبَ عَلَيْكَ؟ لَكَ حُلٌّ آخَرٌ، مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا إِنْ طَلَبْتَهُ فَاجْعَلْ لَهُ نِيَّةً صَالِحَةً وَاصْدُقْ، وَالتَّفْرِيقُ إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَفَرِّقَ كُلَّهُ فَعَلَى الْأَقْلَ فَرَقْ بَعْضَهُ، الْمَيْسُورُ لَا يَسْقُطُ بِالْمَعْسُورِ، مِثْلًا إِذَا كَانَ عِنْدَكَ أَلْفُ دَرَاهِمٍ لَا تَحْتَاجُهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْرِجَهَا تَصَدَّقْ وَلَوْ بِـ 500، كَمَا قَالَ مَشَايِخُنَا بِمَا مَعْنَاهُ، نَفْسَكَ طَلَبْتَ تَشْتَرِي 5 أَشْيَاءَ اشْتَرِ أَرْبَعَةً وَدَعِ الْخَامِسَ فَأَنْتَ الْآنَ تَرَكْتَ شَيْئًا اسْتَمَرَّ وَقَلَّ لِنَفْسِكَ لَا.. حَتَّى أَوْلَادِكَ حَتَّى يَتَعَوَّدُوا أَنْ لَا يَشْتَرُوا كُلَّ مَا تَهْوَاهُ أَنْفُسُهُمْ .. تَعَوَّدْنَا عَلَى ذَلِكَ.. النَّفْسُ تَتَهَذَّبُ وَتَصِلُ إِلَى مَسْتَوًى أَنْ الذَّهَبَ وَالْحَجَرَ مَسْتَوِيَانِ.. وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ..**

❖ **إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتْرَكَ الدُّنْيَا فِكْرٌ فِي أَرْبَعَةٍ:**

1. **قِلَّةُ غِنَائِهَا،** أَنْتَ فَقِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْكَ.
 2. **كثرة عنائها،** تعب، مشاق، سفر، اجتماعات، سهر، فواتير..
 3. **كثرة حسادها،** يحسدونك! كل صاحب نعمة فهو محسود.
 4. **سرعة فنائها،** انتهاء صلاحيتها، قصيرة، عمرها قصير.
- اللقمة التي تستغرق الطباخ أن يطبخها ويضع فيها الخلطة السرية وتستغرق المرأة في إعداد الطعام ساعة ساعتين كم مدتها في الفم؟ اللقمة التي أنت تأكلها من المشوار الطويل أقل من دقيقة؟ فإذا ما ألقيتها في البلعوم انتهت هل تتلذذ بالطعام في معدتك؟ تحتاج للقيمة ثانية..

❖ **خسة شركائها، غالباً إذا أردت أن تدخل في عالم الدنيا من هم شركاؤك؟ من خيار القوم؟**

- غالباً فيهم الكذاب والمنافق ومن يخونك ويضربون بمثال لو ألقيت جيفة بهيمة من يأكلها؟ الكلاب.. الدنيا جيفة هل ترضى أن يشاركك فيها الكلاب؟
- أسأل الله عز و جلّ أن يجعلنا مجالسين للأتقياء ويخرج حب الدنيا من قلوبنا ويجعلها في أيدينا..

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وجزى الله عنا سيدنا الامام الغزالي وسيدي الحبيب حسين خير الجزاء ونفعنا بعلومهما في الدارين